وبيان ذلك أنه قال : « هو فى كل متجل بوحدته الذاتية ، عالماً بنفسه وبما يصدر عنه ، وأنَّ المعلومات بأسرها كانت منكشفة فى حقيقة العلم شاهداً لها ».

فيقال له : قد أثبت علمه بما يصدر منه وبمعلومات يشهدها غير نفسه ، ثم ذكرتَ أنه عرض نفسه على هذه الحقائق الكونية المشهودة المعدومة ، فعند ذلك عبَّر بـ « أنا » وظهرت حقيقة النبوَّة التى ظهر فيها الحق واضحاً ، وانعكس فيها الوجود المطلق ، وأنه هو المسمى باسم الرحمن كما أنَّ الأول هو المسمى باسم اللّه ، وسُقتَ الكلام . إلى أن قلتَ : « وهو الآن على ما عليه كان » فهذا الذى علم أنه يصدر عنه وكان مشهوداً له معدوماً فى نفسه هو الحق أو غيره ؟ فإن كان الحق ، فقد لزم أن يكون الرب كان معدوماً وأن يكون صادراً عن نفسه ، ثم إنه تناقض ، وإن كان غيره ، فقد جعلتَ ذلك الغير هو مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، وهو الرحمن ، فيكون الخلق هو الرحمن ، فأنت حائر بين أن تجعله قد عَلِمَ معدوماً صدر عنه ، فيكون له غير وليس هو الرحمن ، وبين أن تجعل هذا الظاهر الواصف هو إياه وهو الرحمن ، فلا يكون معدوماً ولا صادراً عنه ، وأما أن تصف الشئ بخصائص الحق الخالق تارة ، وبخصائص العبد المخلوق تارة ، فهذا مع تناقضه كفر من أغلظ الكفر ، وهو نظير قول النصارى : اللاهوت الناسوت . لكن هذا أكفر من وجوه متعددة .

* * *

فصل
فى ما كان به الاتحادية أكفر من النصارى

الوجه الأول : أنَّ هذه الحقائق الكونية التى ذكرتَ أنها كانت معدومة فى نفسها مشهودة أعيانها فى علمه فى تجليه المطلق الذى كان فيه متحداً بنفسه بوحدته الذاتية ، هل خلقها وبرأها وجعلها موجودة بعد عدمها ، أم لم تزل معدومة ؟ فإن كانت لم تزل معدومة فيجب أن لا يكون شئ من الكونيات موجوداً ، وهذا مكابرة للحس والعقل والشرع ، ولا يقوله عاقل ، ولم يقله عاقل .

وإن كانت صادرة موجودة بعد عدمها امتنع أن تكون هى إياه ، لأنَّ الله لم يكن معدوماً فيوجد . وهذا يُبطل الاتحاد ، ووجب حينئذ أن يكون [1] به موجوداً ليس هو الله ، بل هو خلقه ومماليكه وعبيده . وهذا يُبطِل قولك ! وهو الآن لا شئ معه على ما عليه كان .

الثانى : أنَّ قولك : « تركبت الخلقة الإلهية من كان إلى سر شأنه » [2] ، أو قولك : « ظهر الحق فيه » ... أو نحو ذلك من الألفاظ التى يُطلقها هؤلاء الاتحادية فى هذا الموضع مثل قولهم : ظهر الحق وتجلى ، وهذه مظاهر الحق ومجاليه ، وهذا مظهر إلهى ومجلى إلهى ، ونحو ذلك - أتعنى به أنَّ عين ذاته حصلت هناك ؟ أو تعنى به أنه صار ظاهراً متجلياً لها بحيث تعلمه ؟ أو تعنى به أن ظهر لخلقه بها وتجلى بها وأنه ما ثَمَّ قسم رابع ؟

فإن عنيتَ الأول - وهو قول الاتحادية - فقد صرَّحتَ بأن عين المخلوقات - حتى الكلاب والخنازير والنجاسات والشياطين والكفار - هى ذات الله ، أو هى وذات الله متحدتان ، أو ذات الله حالّة فيها ، وهذا الكفر أعظم من كفر الذين قالوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [3] ، و ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [4] وإنَّ الله يلد ويولد . وإنَّ له بنين وبنات . وإذا صرَّحتَ بهذا عرف المسلمون قولك فألحقوك ببنى جنسك [5] ، فلا حاجة إلى ألفاظ مجملة يحسبها الظمآن ماءً . وياليته إذا جاءها لم يجدها شيئاً ، بل يجدها سماً ناقعاً .

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : أن يكون ما صار به المعدوم موجوداً ... إلخ .

(٢) كذا فى الأصل . (٣) المائدة : ١٧ (٤) المائدة : ٧٣

(٥) بهذا صرَّح شيخ الإسلام أنَّ غرضه من هذه الإلزامات الباطلة بيان خروجهم بها عن دائرة الإسلام الذى يُلبِّسون بادعائهم إياه على المسلمين بأنهم من أوليائه العارفين . وليس غرضه أنه ألزمهم ما يلتزمونه ولا يعتقدونه .

وإن عنيتَ أنه صار ظاهراً متجلياً لها ، فهذا حقيقة أمر صار معلوماً لها ، ولا ريب أنَّ الله يصير معروفاً لعبده . لكن كلامك فى هذا باطل من وجهين : من جهة أنك جعلته معلوماً للمعدومات التى لا وجود لها لكونه قد علمها ، واعتقدتَ أنها إذا كانت معلومة يجوز أن تصير عالِمة ، وهذا عين الباطل : من جهة أنه إذا علم أنَّ الشئ سيكون لم يجز أن يكون هذا قبل وجوده عالماً قادراً فاعلاً . ومن جهة أنَّ هذا ليس حكم جميع الكائنات المعلومة ، بل بعضها هو الذى يصح منه العلم

وأما إن قلتَ : إنَّ الله يعلم لكونها آيات دالة عليه ، فهذا حق ، وهو دين المسلمين وشهود العارفين ، لكنك لم تقل هذا لوجهين :

أحدهما : أنها لا تصير آيات إلا بعد أن يخلقها ويجعلها موجودة ، لا فى حال كونها معدومة معلومة ، وأنت لم تثبت أنه خلقها ولا جعلها موجودة ، ولا أنه أعطى شيئاً خلقه ، بل جعلتَ نفسه هو هى المتجلية له .

الوجه الثانى : أنك قد صرَّحت بأنه تجلى لها وظهر لها ، لا أنه دلَّ بها خلقه وجعلها آيات تكون تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، والله قد أخبر فى كتابه أنه يجعل فى هذه المصنوعات آيات ، والآية مثل العلامة والدلالة كما قال : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) ، وتارة يسميها نفسها آية كما قال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا ﴾ (٢) ، وهذا الذى ذكره الله فى كتابه هو الحق .

فإذا قيل فى نظير ذلك : تجلى بها وظهر بها كما يقال : علم وعرف بها ، كان المعنى صحيحاً لكن لفظ التجلى والظهور فى مثل هذا الوضع غير مأثور .

---

(١) البقرة : ١٦٣ - ١٦٤ (٢) يس : ٣٣

وفيه إيهام وإجمال . فإنَّ الظهور والتجلى يُفهم منه الظهور والتجلى للعين لا سيما لفظ « المتجلى » ، وأنَّ استعماله فى التجلى للعين هو الغالب . وهذا مذهب الاتحادية ، صرَّح به ابن عربى وقال : فلا تقع العين إلا عليه ..... [1] .

وإذا كان عندهم أنَّ المرئى بالعين هو اللّه ، فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين . بل قد ثبت فى صحيح مسلم أنَّ النبى ﷺ قال : « واعلموا أنَّ أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ، ولا سيما إذا قيل : ظهر فيها وتجلى ، فإنَّ اللفظ يصير مشتركاً بين أن تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التى يظهر فيها مثال المرئى ، وكلاهما باطل . فإنَّ ذات اللّه ليست فى المخلوقات ، ولا فى نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئى فى المرآة ، ولكن ظهورها دلالتها عليه وشهادتها له ، وأنها آيات له على نفسه وصفاته سبحانه وبحمده ، كما نطق بذلك كتاب اللّه .

الوجه الثالث : أنَّ مقارنة الألف والنون المعبَّر عنها بـ « أنا » واللفظة التى هى « حقيقة النبوَّة » و « الروح الإضافى » هذه الأشياء داخلة فى مسمى أسمائه الظاهرة والمضمَرة ، أم ليست داخلة فى مسمى أسمائه ؟ فإن كان الأول ، فتكون جميع المخلوقات داخلة فى مسمى أسماء اللّه ، وتكون المخلوقات جزءاً من اللّه وصفة له ، وإن كان الثانى ، فهذه الأشياء معدومة ليس لها وجود فى أنفسها ، فكيف يُتصور أن تكون موجودة لا موجودة ، ثابتة لا ثابتة ، منتفية لا منتفية ؟ وهذا القسم بيِّن ، وهو أحد ما يكشف حقيقة هذا التلبيس .

فإنَّ هذه الأمور التى كانت معلومة له معدومة عند نزول الخلية ظهرت هذه الأمور التى ذكرها ، فهذه الأمور الظاهرة المعلومة بعد هذا النزول قد صارت « أنا » وحقيقة نبوَّة ، وروحاً إضافياً ، وفعل ذات ، ومفعول ذات ، ومعنى وسائط ، فإن كان جميع ذلك فى اللّه ، ففيه كفران عظيمان : كون جميع

---

(١) بياض فى الأصل .

المخلوقات جزءاً من الله ، وكونه متغيراً ، هذه التغيرات هى من نقص إلى كمال ومن كمال إلى نقص ، وإن كانت خارجة من ذاته فهذه الأشياء كانت معدومة ، ولم يخلقها عندهم خارجة عنه ، فكيف يكون الحال ؟

الوجه الرابع : أنَّ عنده حقيقة النبوَّة وما معها ، إما أن يكون شيئاً قائماً بنفسه ، أو صفة له أو لغيره ، فإن كان قائماً بنفسه فإما أن يكون هو الله أو غيره ، فإن كان ذلك هو الله فيكون الله هو النقطة الظاهرة ، وهو حقيقة النبوَّة ، وهو الروح الإضافى ، وقد قال بعد هذا : « إنه جعل الروح الإضافى فى صورة فعل ذاته ، وإنه أعطى محمداً عقدة نبوَّته » ، فيكون قد جعل نفسه صورة فعله وأعطى محمداً ذاته ، وهذا مع أنه من أبين الكفر وأقبحه فهو متناقض ، فمَن المعطِى ومَن المعطَى ؟ إذا كان أعطى ذاته لغيره ، وإن كانت هذه الأشياء أعياناً قائمة بنفسها وهى غير الله فسواء أكانت ملائكة أو غيرها من كل ما سوى الله من الأعيان فهو خلق من خلق الله . مصنوع مربوب ، والله خالق كل شئ ، فهو قد جعل ظهور الحق وصفاً ، وأنه المسمى باسم الرحمن ، فيكون المسمى باسم الرحمن الواصف لنفسه مخلوقاً ، وهذا كفر صريح وهو أعظم من إلحاد الذين : ﴿ قِيلَ لَهُمُ أَسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَٰنُ ﴾ ؟ [1] ومن إلحاد الذين قيل فيهم : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ [2] فإنَّ أولئك كفروا باسمه وصفته مع إقرارهم برب العالمين ، وهؤلاء أقروا بالاسم وجعلوا المسمى مخلوقاً من مخلوقاته .

وأما إن كان المراد بهذه الحقيقة وما معها صفة ، فإما أن تكون صفة لله أو لغيره ، فإن كانت صفة لله لم يجز أن تكون هى المسمى باسم الرحمن ، فإنَّ ذلك اسم لنفس الله لا لصفاته ، والسجود لله لا لصفاته ، والدعاء لله لا لصفاته ، وإن كانت صفة لغيره فهذا الإلزام أعظم وأعظم .

---

(١) الفرقان : ٦٠ (٢) الرعد : ٣٠

وهذا تقسيم لا محيص عنه ، فإنَّ هذا الملحد فى أسماء اللّه جعل هذه العُقدة التى سماها « عقدة حقيقة النبوّة » وجعلها صورة علم الحق بنفسه ، وجعلها مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، محلاً لتميز صفاته القديمة [1] ، وأنَّ الحق ظهر فيه بصورته وصفته واصفاً يصف نفسه ويحيط به ، وهو المسمى باسم الرحمٰن ، ثم ذكر أنه أعطى محمداً هذه العُقدة ، ومعلوم أنَّ المسمى باسم الرحمٰن هو المسمى باسم اللّه كما قال تعالى : ﴿ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ ، أَيًّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [2] ، فيكون هو سبحانه هذه العُقده التى أعطاها لمحمد ، وإن كانت صفة له أو غيره فتكون هى الرحمٰن ، فهذا الملحد دائر بين أن يكون الرحمٰن هو خلق من خلق اللّه أو صفة من صفاته ، وبين أن يكون الرحمٰن قد وهبه اللّه لمحمد ، وكل من القسمين من أسمج الكفر وأشنعه .

الوجه الخامس : أنَّ قوله : « لهذه الحقيقة طرفان ، طرف إلى الحق المواجه إليها الذى ظهر فيه الوجود الأعلى واصفاً ، وطرف إلى ظهور العالم منه وهو المسمى بالروح الإضافى » ، فذكر فى هذا الكلام ظهور الوجود وظهور العالم ، وقد تقدم أنَّ الحق كان ولم يكن معه شئ وهو متجلى بنفسه بوحدته الذاتية ، وأنه لما نزلت الخلية ظهرت عُقدة حقيقة النبوّة ، فصارت مرآة لانعكاس الوجود فظهر الحق فيه بصورة وصفة واصفاً .

وقد ذكر فى هذا الكلام الحق المواجه إليها والوجود الأعلى الذى ظهر ، فهذا الحق والطرف الذى لها إلى الحق ، فقد ذكر هنا ثلاثة أشياء : الحق ، والوجود ، والطرف ، وقد جعل فيما تقدم الحق هو الوجود المطلق الذى انعكس ، وهو الحق الذى ظهر فيه واصفاً ، فتارة يجعل الحق هو الوجود المطلق ، وتارة يجعل الوجود المطلق قد ظهر فى هذا الحق ، وهذا تناقض .

---

(١) قوله : « محلاً لتميز صفاته القديمة » هو المفعول الثانى لـ « جعل » .

(٢) الإسراء : ١١٠ .

ثم يُقال له : هذان عندك عبارة عن الرب تعالى فقد جعلته ظاهراً وجعلته مظهراً ، فإن عنيتَ بالظهور الوجود فيكون الرب قد وُجِدَ مرة بعد مرة ، وهذا كفر شنيع ، فكيف يُتصور تكرر وجوده ؟ وكيف يُتصور أن يكون قد وُجِدَ فى نفسه بعد أن لم يكن موجوداً فى نفسه ؟ وإن عنيتَ الوضوح والتجلى ، وليس [1] هناك مخلوق يظهر له ويتجلى إذ العالم بعد لم يخلق ، وأنت قلت : ظهر الحق فيه واصفاً ، وسميته الرحمن ، ولم تجعل ظهوره معلوماً ولا مشهوراً ، فكيف يُتصور أن يكون متجلياً لنفسه بعد أن لم يكن متجلياً ؟ فإن هذا وصف له بأنه لم يكن يعلم نفسه حتى علمها .

وأيضاً فقد قلت : « إنه كان متجلياً لنفسه بوحدته » ، فهذا كفر وتناقض .

• حيرة الاتحادية وتناقضهم فى الاتحاد كالنصارى فى التثليث :

الوجه السادس : أنَّ هذا التحير والتناقض مثل تحير النصارى وتناقضهم فى الأقانيم . فإنهم يقولون : الآب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وهى إله واحد . والمتدرع بناسوت المسيح هو الابن ، ويقولون : هى الوجود ، والعلم ، والحياة ، والقُدرة .

فيُقال لهم : إن كانت هذه صفات فليست آلهة ، ولا يُتصور أن يكون المتدرع بالمسيح إلهاً إلا أن يكون هو الآب ، وإن كانت جواهر وجب أن لا تكون إلهاً واحداً ، لأن الجواهر الثلاثة لا تكون جوهراً واحداً . وقد يمثلون ذلك بقولنا : زيد العالم القادر الحى ، فهو بكونه عالماً ليس هو بكونه قادراً . فإذا قيل لهم : هذا كله لا يمنع أن يكون ذاتاً واحدة لها صفات متعددة وأنهم لا يقولون ذلك [2] .

---

(١) لعله : « فليس » .

(٢) سقط جواب : « إذا » أو تركه للعلم به ، وتقديره : انقطعوا .

وأيضاً : فالمتحد بالمسيح إذا كان إلهاً امتنع أن يكون صفة ، وإنما يكون هو الموصوف . وأنتم لا تقولون بذاك ، فما هو الحق لا تقولونه ، وما تقولونه ليس بحق ، وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾ [1] ، فالنصارى حيارى متناقضون ، إن جعلوا الأقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلهاً ، وإن جعلوه جوهراً امتنع أن يكون الإله واحداً ، وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس إلهاً واحداً . ولهذا وصفهم الله فى القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسماً غير المشركين تارة ، لأنهم يقولون الأمرين وإن كانوا متناقضين .

وهكذا حال هؤلاء ، فإنهم يريدون أن يقولوا بالاتحاد وأنه ما ثَمَّ غيره ، ويريدون أن يثبتوا وجود العالَم ، فجعلوا ثبوت العالَم فى علمه وهو شاهد له ، وجعلوه متجلياً لذلك المشهود له ، فإذا تجلى فيه كان هو المتجلى لا غيره . وكانت تلك الأعيان المشهودة هى العالَم .

وهذا الرجل وابن عربى يشتركان فى هذا ولكن يفترقان من وجه آخر ..

فإنَّ ابن عربى يقول : « وجود الحق ظهر فى الأعيان الثابته فى نفسها . فإن شئت قلت هو الحق ، وإن شئتَ قلت هو الخلق ، وإن شئتَ قلت هو الحق والخلق ، وإن شئتَ قلت لا حق من كل وجه ولا خلق من كل وجه ، وإن شئتَ قلت بالحيرة فى ذلك » . وأما هذا فإنه يقول : تجلى الأعيان المشهودة له ، فقد قالا فى جميع الخلق ما يشبه قول ملكية [2] النصارى فى المسيح ، حيث قالوا : بأن اللاهوت والناسوت صارا جوهراً واحداً له أُقنومان . وأما التلمسانى فإنه لا يثبت بعد ذلك بحال ، فهو مثل يعاقبة النصارى ، وهم أكفرهم ، والنصارى قالوا

---

(١) النساء : ١٧١

(٢) طائفة من النصارى كاليعاقبة والنسطورية وغيرها ، وانظر جـ ١ هامش ص ٢١٩

بذلك فى شخص واحد ، وقالوا : إنَّ اللاهوت به يتدرع الناسوت بعد أن لم يكن متدرعاً به ، وهؤلاء قالوا : إنه فى جميع العالَم ، وإنه لم يزل ، فقالوا بعموم ذلك ولزومه ، والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه ، حتى قال قائلهم : النصارى إنما كفروا لأنهم خصَّصوا ، وهذا المعنى قد ذكره ابن عربى فى غير موضع من الفصوص ، وذكر أنَّ إنكار الأنبياء على عُبَّاد الأصنام إنما كان لأجل التخصيص ، وإلا فالعارف المكمل مَن عبده فى كل مظهر وهو العابد والمعبود ، وأنَّ عُبَّاد الأصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منها ، وأنَّ موسى إنما أنكر على هارون لكون هارون نهاهم عن عبادة العجل لضيق هارون وعلم موسى بأنهم ما عبدوا إلا الله ، وأنَّ هارون إنما لم يُسلِّط على العجل ليعبدوا الله فى كل صورة ، وأنَّ أعظم مظهر عُبِدَ فيه هو الهوى ، فما عُبِدَ أعظم من الهوى . لكن ابن عربى يثبت أعياناً ثابتة فى العدم .

• بيان بطلال أقوال الاتحادية بالعقل والنقل :

وهذا ابن حمويه إنما أثبتها مشهودة فى العلم فقط ، وهذا القول هو الصحيح لكن لا يتم له معه ما طلبه من الاتحاد ، ولهذا كان هو أبعدهم عن تحقيق الاتحاد والقُرب إلى الإسلام ، وإن كان أكثرهم تناقضاً وهذياناً ، فكثرة الهذيان خير من كثرة الكفر . ومقتضى كلامه هذا أنه جعل وجوده مشروطاً بوجود العالَم ، وإن كان له وجود ما غير العالَم ، كما أنَّ نور العين مشروط بوجود الأجفان وإن كان قائماً بالحدقة ، فعلى هذا يكون الله مفتقراً إلى العالَم محتاجاً إليه كاحتياج نور العين إلى الجفنين . وقد قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ... إلى آخر الآية [1] . فإذا كان هذا قوله فيمن وصفه بأنه فقير إلى أموالهم ليعطيها الفقراء ، فكيف قوله فيمن

---

(١) آل عمران : ١٨١

جعل ذاته مفتقرة إلى مخلوقاته ، بحيث لولا مخلوقاته لانتشرت ذاته وتفرقت وعدمت ، كما ينتشر نور العين ويتفرق ويعدم إذا عدم الجفن ؟ وقد قال فى كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ ، وَلَئِن زَالَتَا ﴾ .. الآية [1] . فمن يمسك السموات ؟ وقال فى كتابه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِه ﴾ ... الآية [2] . وقال : ﴿ رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [3] ، وقال : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا ، وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ [4] لا يؤده : لا يثقله ولا يكرثه ، وقد جاء فى الحديث - حديث أبى داود : « ما السموات والأرض وما بينهما فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والكرسى فى العرش كتلك الحلقة فى الفلاة » وقد قال فى كتابه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ .... الآية [5] . وقد ثبت فى الصحاح من حديث أبى هريرة وابن عمر وابن مسعود : « إنَّ الله يمسك السموات والأرض بيده » ، فمَن يكون فى قبضته السموات والأرض ، وكرسيه قد وسع السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وبأمره تقوم السماء والأرض ، وهو الذى يمسكهما أن تزولا ، أيكون محتاجاً إليهما مفتقراً إليهما ، إذا زالا تفرّق وانتشر ؟ وإذا كان المسلمون يُكَفِّرون مَن يقول : إنَّ السموات تقله أو تظله ، لما فى ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته ، فمَن قال : إنه فى استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فإنه كافر ؟ لأنَّ الله غنى عن العالَمين ، حى قيوم ، هو الغنى المطلق وما سواه فقير إليه ، مع أنَّ أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسُنَّة واتفاق سَلَف الأمة وأئمة السُنَّة ، بل هو ثابت فى كل كتاب أُنزل على كل نبى أُرسل ، فكيف بمن يقول إنه مفتقر إلى السموات والأرض ،

---

(١) فاطر : ٤١ (٢) الروم : ٢٥ (٣) الرعد : ٢

(٤) البقرة : ٢٥٥ (٥) الزمر : ٦٧

وإنه إذا ارتفعت السموات والأرض تفرَّق وانتشر وعدم ؟ فإن حاجته فى الحمل إلى العرش أبعد من حاجة ذاته إلى ما هو دون العرش .

ثم يقال لهؤلاء : إن كنتم تقولون بقِدَم العالَم وإنكار انفطار السموات والأرض وانشقاقهما ، وإن كنتم تقولون بحدوثهما فكيف كان قبل خلقهما ؟ هل كان منتشراً متفرقاً معدوماً ، ثم لما خلقهما صار موجوداً مجتمعاً ؟ هل يقول هذا عاقل ؟ فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر ، مع غاية الجهل والضلال ، فاختاروا أيهما شئتم : إنَّ صور العالَم لا تزال تفنى ويحدث فى العالَم بدلها مثل الحيوان والنبات والمعادن ، ومثل ما يُحدثه اللّه فى الجو من السحاب والرعد والبرق والمطر وغير ذلك ، فكلما عدم شئ من ذلك انتقص من نور الحق ويتفرق ويعدم بقدر ما عدم من ذلك ، وكلما زاد شئ من ذلك زاد نوره واجتمع ووُجِد .

وأما إن عنى أنَّ نور اللّه باق بعد زوال السموات والأرض لكن لا يظهر فيه شئ - فما الشئ الذى يظهر بعد عدم هذه الأشياء ؟ وأى تأثير للسموات والأرض فى حفظ نور اللّه ، وقد ثبت فى الصحيح عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال : « إنَّ اللّه لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه » ، وقال عبد اللّه بن مسعود : « إنَّ ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه » ، فقد أخبر الصادق المصدوق أنَّ اللّه لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من السموات والأرض وغيرهما ، فمَن يكون سبحات وجهه تحرق السموات والأرض وإنما حجابه هو الذى يمنع هذا الإحراق ، أيكون نوره إنما يُحفظ بالسموات والأرض ؟

الوجه السابع : قوله : « فالعلويات جفنها الوقائى ، والسفليات جفنها التحتانى ، والتفرقة البَشرية فى السفليات ، أهداب الجفن الفوقانى ، والنفس الكلية

سوادها ، والروح الأعظم بياضها » . يقال له : فإذا كان العالَم هو هذه العين ، فالعين الأخرى أى شئ هى ؟ وبقية الأعضاء أين هى ؟ هذا لأنه على قولك إن عنيتَ بالعين المتعين ، وإن عنيتَ الذات والنفس وهو ما تعيَّن فيه ، فقد جعلتَ نفس السموات والأرض والحيوان والملائكة أبعاضاً من الله وأجزاءً منه ، وهذا قول هؤلاء الزنادقة والفرعونية الاتحادية الذين أتبعهم الله فى الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين .

فيُقال له : فعلى هذا لم يخلق الله شيئاً ولا هو رب العالمين ، لأنه إما أن يخلق نفسه أو غيره ، فخلقه لنفسه محال وهذا معلوم بالبديهة أنَّ الشئ لا يخلق نفسه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ ﴾ (١) ، يقول : أُخلقوا من غير خالق أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ولهذا قال جبير بن مطعم لما سمعتُ النبى ﷺ . يقرأ هذه الآية أحسست بفؤادى قد انصدع . فقد علموا أنَّ الخالق لا يكون هو المخلوق بالبديهة ، وخلقه لغيره ممتنع على أصلهم لأنَّ هذه الأشياء هى أجزاء منه ليست غيراً له .

الوجه الثامن : أنه جعل البَشر أهداب جفن حقيقة الله ، وهم دائماً يزيدون وينقصون ، ويموتون ويحيون ، وفيهم الكافر والمؤمن ، والفاجر والبر ، فتكون أهداب جفن حقيقة الله لا تزال منتوفة كاشرة فاسدة ، ويكون المشركون واليهود والنصارى أجفان حقيقته ، وقد لعن مَن جعلهم أبناءه على سبيل الاصطفاء ، فكيف بمن جعلهم من نفسه ؟

الوجه التاسع : أنه متناقض من حيث جعل الروح بياضها والنفس الكلية سوادها والسموات الجفن الأعلى والأرضون الجفن الأسفل . ومعلوم أنَّ جفنى عين الإنسان محيطان بالسواد والبياض ، والروح والنفس عنده هى فوق السموات والأرض ليست بين السماء والأرض ، كما أنَّ سواد العين وبياضها بين الجفنين ، فهذا التمثيل مع أنه من أقبح الكفر ففيه من الجهالة والتناقض ما تراه .

---

(١) الطور : ٣٥

الوجه العاشر : أنَّ النفس الكلية اسم تلقاه عن الصابئة [1] الفلاسفة . وأما الروح فإنَّ مقصوده بها هو الذى يسمونه « العقل » وهو أول الصادرات . وسماه هو « روحاً » ، وهذا بناه على مذهب الصابئة ، وليس هذا من دين الحنفاء ، وقد بيَّنا فساد ذلك فى غير هذا الموضع . لكن الصابئة الفلاسفة خير من هؤلاء ، فإنهم يقرون بواجب الوجود الذى صدرت عنه العقول والنفوس والأفلاك والأرض لا يجعلونها إياه ، وهؤلاء يجعلونها اياه . فقولهم انما ينطبق على المعطلّة مثل فرعون وحزبه الذى قال : ﴿ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [2] ، وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرِى ﴾ [3] ، وقال : ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحاً لَّعَلِّى أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ ﴾ ... الآية [4] ، فإنَّ فرعون يقر بوجود هذا العالَم ويقول : ما فوقه رب ولا له خالق غيره . فهؤلاء إذا قالوا إنه عين السموات والأرض ، فقد جحدوا ما جحده فرعون ، وأقروا بما أقر به فرعون ، إلا أنَّ فرعون لم يسمه إلهاً ولم يقل هو اللّه . وهؤلاء قالوا هذا هو اللّه . فهم مقرون بالصانع لكن جعلوه هو الصنعة . فهم فى الحقيقة معطلّون ، وفى اعتقادهم مقرون ، وفرعون بالعكس كان منكراً للصانع فى الظاهر ، وكان فى الباطن مقراً به . فهو أكفر منهم ، وهم أضل منه وأجهل . ولهذا يعظمونه جداً .

الوجه الحادى عشر : قول القائل : « بل هذا هو الحق الصريح المتبع ، لا ما يرى المنحرف عن مناهج الإسلام ودينه ، المتحير فى بيداء ضلالته وجهله » . فيقال : مَن الذى قال هذا الحق من الأولين والآخرين ؟ وهذا كتاب اللّه من أوله إلى آخره الذى هو كلام اللّه ووحيه وتنزيله ، ليس فيه شئ من هذا ، ولا فى حديث واحد عن النبى ﷺ . ولا عن أحد من أئمة الإسلام ومشايخه . إلا عن هؤلاء المفترين

---

(١) للتعريف بالصابئة انظر جـ ١ هامش ص ١٧٢

(٢) الشعراء : ٢٣ (٣) القصص : ٣٨ (٤) غافر : ٣٦ - ٣٧

على الله الذين هم فى مشايخ الدين نظير « چنكيز خان » فى أمر الحرب ، فديانتهم تشبه دولته ، ولعل إقراره بالصانع خير من إقرارهم ، لكن بعضهم قد يوجب الإسلام فيكون خيراً من التتار من هذا الوجه .

وأما محققوهم وجمهورهم فيجوز عندهم التهود والتنصر والإسلام والإشراك ، لا يحرِّمون شيئاً من ذلك ، بل المحقق عندهم لا يحرم عليه شئ ولا يجب عليه شئ ، معلوم أنَّ التتار الكفار خير من هؤلاء ، فإنَّ هؤلاء مرتدُّون عن الإسلام من أقبح أهل الردَّة ، والمرتد شر من الكافر الأصلى من وجوه كثيرة ، وإذا كان أبو بكر الصدِّيق ..... [1] .

• رد قول بعض طواغيتهم « إنَّ العالَم حدقة عين الله » :

وأما ما حكاه عن الذى سماه الشيخ المحقق العالِم الربانى الغوث السابع فى الشمعة من أنه قال : « اعلم أنَّ العالَم بمجموعه حدقة عين الله التى لا تنام ... » إلى آخره ، فالكلام عليه من وجوه :

أحدها : أنَّ تسمية قائل مثل هذا المقال محققاً وعالماً وربانياً عين الضلالة والغواية ، بل هذا كلام لا تقوله لا اليهود ولا النصارى ولا عُبَّاد الأوثان ، فإن كان الذى قاله مسلوب العقل كان حكمه حكم غيره فى أنَّ الله رفع عنه القلم ، وإن كان عاقلاً فجرأة على الله الذى يقول : ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِداً * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ ... إلى آخر الآيات [2] ، وقال : ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ [3] وقال :

---

(١) بياض فى الأصل قدر سطرين لعله ذكر فيه أمثاله للمرتدين ومانعى الزكاة من العرب وكون هؤلاء شر منهم لإباحتهم ترك جميع شرائع الإسلام .

(٢) مريم : ٨٨ - ٩٠ (٣) الأنبياء : ٢٦ - ٢٩

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ [1] .. فإذا كان هذا قوله فيمن يقول : إنهم أبناؤه وأحباؤه، فكيف قوله فيمن يقول : إنهم أهداب جفنه ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون عُلُواً كبيراً .

الوجه الثانى : أنَّ هذا الشيخ الضال الذى قال هذا الكفر والضلال قد نقض آخر كلامه بأوله ، فإنَّ لفظ العين مشترك بين الشئ وبين العضو المبصر وبين مسميات أُخر ، وإذا قال بعين الشئ ، فهو من العين التى بمعنى النفس - أى تميُّز بنفسه عن غيره ، فإذا قال : إنَّ العالم بمجموعه حدقة عين الله التى لا تنام ، فالعين هنا بمعنى البصر .

ثم قال فى آخر كلامه : « ونعنى بعين الله ما تعيَّن الله فيه » . فهذا من العين بمعنى النفس ، وهذه العين ليس لها حدقة ولا أجفان ، وإنما هذا بمنزلة مَن قال : نبعت العين وفاضت وشربنا منها واغتسلنا ، ووزنتها فى الميزان فوجدتها عشرة مثاقيل وذهبها خالص ، وسبب هذا أنه كثيراً ما كان يتصرف فى حروف بلا معان .

الوجه الثالث : أنه تناقض من وجه آخر فإنه إذا كان العالَم هو حدقة العين فينبغى أن يكون قد بقى من الله بقية الأعضاء غير العين ، فإذا قال فى آخر كلامه : « والله هو نور العين » ، كان الله جزءاً من العين أو صفة له ، فقد جعل فى أول كلامه العالَم جزءاً من الله ، وفى آخر كلامه جعل الله جزء من العالَم ، وكل من القولين كفر ، بل هذا أعظم من كفر الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً ، إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ * أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالبَنِينَ ﴾ [2] .. فإذا كان الله كفَّر مَن جعل له من

---

(١) المائدة : ١٧ - ١٨ (٢) الزخرف : ١٥ - ١٦

عباده جزءاً ، فكيف مَن جعل عباده تارة جزءاً منه وتارة جعله هو جزءاً منهم ؟ فلعن اللّه أرباب هذه المقالات وانتصر لنفسه ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين منهم .

الوجه الرابع : أنه تناقض من جهة أخرى ، فإنه إذا قال : « العين : ما يتعين اللّه فيه ، والعالَم كله حدقة عينه التى لا تنام » ، فقد جعله متعيناً فى جميع العالَم ، فإذا قال بعدها : « وهو نور العين » ، بقيت سائر أجزاء العين من الأجفان والأهداب والسواد والبياض لم يتعيَّن فيها ، فقد جعله متعيِّناً فيها غير متعيَّن فيها .

الوجه الخامس : أنَّ نور العين مفتقر إلى العين محتاج إليها لقيامه بها ، فإذا كان اللّه فى العالَم كالنور فى العين وجب أن يكون محتاجاً إلى العالَم .

واعلم أنَّ هذا القول يشبه قول الحلولية الذين يقولون : « هو فى العالَم كالماء فى الصوفة ، وكالحياة فى الجسم » ... ونحو ذلك ، ويقولون : « هو بذاته فى كل مكان » ، وهذا قول قدماء الجهمية الذين كفَّرهم أئمة الإسلام . وحُكِيَ عن الجهم [1] أنه كان يقول : هو مثل هذا الهواء ، أو قال : هو هذا الهواء .

وقوله أولاً : « هو حدقة عين اللّه » ، يشبه قول الاتحادية ، فإنَّ الاتحادية يقولون : : « هو مثل الشمعة التى تتصور فى صور مختلفة وهى واحدة » ، فهو عندهم الوجود ، واختلاف أحواله كاختلاف أحوال الشمعة ، ولهذا كان صاحب هذه المقالات متخبطاً لا يستقر عند المسلمين الموحدين المخلصين ، ولا هو عند هؤلاء الملاحدة الاتحادية من محققيهم العارفين . فإنَّ هؤلاء كلهم من جنس النصيرية والإسماعيلية [2] ، مقالات هؤلاء فى الرب من جنس مقالات أولئك ، وأولئك فيهم المتمسك بالشريعة وفيهم المتخلى عنها ، وهؤلاء كذلك ، لكن أولئك أحذق فى الزندقة ، وهم يعلمون أنهم معطلّون مثل فرعون ، وهؤلاء جُهَّال يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

---

(١) للتعريف بالجهمية ، والجهم بن صفوان انظر جـ ١ هامش ص ١١٧ ، جـ ٣ هامش ص ١٢ ، ٢٨

(٢) للتعريف بالنصيرية والإسماعيلية انظر جـ ١ هامش ص ٧٥ ، ١٧٢

الوجه السادس : قوله : « من العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله تعالى بحيث لا يظهر فيه شئ أصلاً » . وهذا كلام مجمل ، لا ريب أن قائل هذه المقالة من المذبذبين بين الكافرين والمؤمنين ، لا هو من المؤمنين ولا من الاتحادية المحضة ، لكنه قد لبَّس الحق بالباطل ، وذلك أنَّ الاتحادية يقولون : إنَّ عين السموات والأرض لو زالت لعدم الله ، واللفظ يُصرِّح به بعضهم ، وأما غالبهم فيشيرون إليه إشارة ، وعوامهم لا يفهمون هذا من مذهب الباقين ، فإنَّ هؤلاء من جنس القرامطة والباطنية [1] ، وأولئك إنما يصل إلى البلاغ الأكبر الذى هو آخر المراتب خواصهم . ولهذا حدثنى بعض أكابر هؤلاء الاتحادية عن صاحب هذه المقالة أنه كان يقول : « ليس بين التوحيد والإلحاد إلا فرق لطيف » ، فقلت له : هذا من أبطل الباطل ، بل ليس بين مذهبين من الفرق أعظم مما بين التوحيد والإلحاد . وهذا قاله بناءً على هذا الخلط واللَّبس الذى خلطه ، مثل قوله : « إنَّ العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شئ » .

فيقال له : إذا ارتفعت العلويات والسفليات فما تعنى بانبساطه ؟ أتعنى تفرقه وعدمه كما يتفرق نور العين عند عدم الأجفان ؟ أم تعنى أنه ينبسط شئ موجود ؟ وما الذى ينبسط حينئذ ؟ هو نفس الله أم صفة من صفاته ؟ وعلى أى شئ ينبسط ؟ وما الذى يظهر فيه أو لا يظهر ؟

فإن عنيتَ الأول وهو مقتضى أول كلامك ، لأنك قلت : وإنما قلنا إنَّ العلويات والسفليات أجفان عين الله لأنهما يحافظان على ظهور النور ، فلو قطعت أجفان عين الإنسان لتفرَّق نور عينه وانتشر بحيث لا يرى شيئاً أصلاً ، فكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شئ أصلاً .

وقد قلتَ : إنَّ الله هو نور العين والروح الأعظم بياضها والنفس الكلية سوادها . ومعلوم أنَّ نور العين على ما ذكرته بشرط وجوده هو الأجفان ،

---

(١) للتعريف بالقرامطة والباطنية انظر جـ ١ هامش ص ٧٥ ، ٩١ ، ١٧٢

فإذا ارتفع الشرط ارتفع المشروط ، فيكون العالَم عندك شرطاً فى وجود الله ، فإذا ارتفع العالَم ارتفعت حقيقة الله لانتفاء شرطه ، وإن أثبتَّ له ذاتاً غير العالَم فهذا أحد قولى الاتحادية ، فإنهم تارة يجعلون وجود الحق هو عين وجود المخلوقات ليس غيرها . وعلى هذا فلا يُتصور وجوده مع عدم المخلوقات ، وهذا تعطيل محض للصانع ، وهو قول القونوى والتلمسانى [1] ، وهو قول صاحب الفصوص فى كثير من كلامه ، وتارة يجعلونه وجوداً قائماً بنفسه ، ثم يجعلون نفس ذلك الوجود هو أيضاً وجود المخلوقات بمعنى أنه فاض عليها . وهذا أقل كفراً من الأول ، وإن كان كلاهما من أغلظ الكفر وأقبحه .

وفى كلام صاحب الفصوص وغيره فى بعض المواضع ما يوافق هذا القول . وكذلك كلام هذا فإنه قد يشير إلى هذا المعنى .

ثم مع ذلك .. هل يجعلون وجوده مشروطاً بوجود العالَم فيكون محتاجاً إلى العالَم أو لا يجعلون ؟ قد يقولون هذا ، وقد يقولون هذا .

• مدحهم للكفر والضلال وجعلهم الكفار أعلم بالله من الأنبياء :

السابع : أنهم يمدحون الضلال والحيرة والظلم والخطا والعذاب الذى عذَّب الله به الأمم ، ويقلبون كلام الله وكلام رسوله قلباً يُعلم فساده بضرورات العقول ، مثل قول صاحب الفصوص : « لو أنَّ نوحاً ما جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه ، فدعاهم جهاراً ، ثم دعاهم إسراراً » - إلى أن قال : « وذُكِرَ عن قومه أنهم تصاموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته ، فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح فى حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم ، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ومَن أقيم فى القرآن لا يصغى إلى الفرقان وإن كان فيه .

---

(١) للتعريف بالقونوى والتلمسانى انظر جـ ١ هامش ص ١١٢ ، وص ٢٣ ، ٢٨ من الجزء الرابع .

فيمدحون ويحمدون ما ذمّه الله ولعنه ونهى عنه ، ويأتون من الإفك والفرية على الله والإلحاد فى أسماء الله وآياته بما ﴿ تَكَادُ السَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً ﴾ (١) كقول صاحب الفصوص فى فص نوح :

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ ﴾ فهى التى خطت بهم فغرقوا فى بحار العلم بالله وهو الحيرة ﴿ فَأُدْخِلُواْ نَاراً ﴾ (٢) فى عين الماء فى المحمدتين ، ﴿ وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (٣) - سجرْتُ التنور إذا أوقدته : ﴿ فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً ﴾ (٤) فكان الله عين أنصارهم ، فهلكوا فيه إلى الأبد ، فلو أخرجتهم إلى السيف سيف الطبيعة لنزلوا عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان الكل لله وبالله بل هو الله ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾ الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم فى آذانهم ، طلباً للستر لأنه دعاهم ليغفر لهم ، والغفر الستر ﴿ دَيَّاراً ﴾ (٥) أحداً حتى تعم المنفعة كما عمّت الدعوة ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ ﴾ أى تدعهم وتتركهم ﴿ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ ﴾ أى يحيروهم ويخرجوهم من العبودية ، إلى ما فيهم من أسرار الربوبية ، فينظروا أنفسهم أرباباً ، بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيداً ، فهم العبيد الأرباب ﴿ وَلَا يَلِدُواْ ﴾ أى ما ينتجون ولا يظهرون ﴿ إِلَّا فَاجِراً ﴾ أى مظهر ما سُتِرَ ﴿ كَفَّاراً ﴾ (٦) أى ساتراً ما ظهر بعد ظهوره ، فينظرون ما سترهم ثم يسترون بعد ظهوره . فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر فى فجوره ولا الكافر فى كفره ، والشخص واحد ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِى ﴾ أى استرنى واستر مراحلى ، فيُجهل مقامى وقدرى كما جُهِلَ قدرك فى قولك : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٧) ﴿ وَلِوَالِدَىَّ ﴾ أى من كنت تنتجه عنهما وهما العقل والطبيعة ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ ﴾ أى قلبى ﴿ مُؤْمِناً ﴾ مصدقاً بما يكون فيه من الأخبار الإلٰهية

---

(١) مريم : ٩٠ (٢) نوح : ٢٥ (٣) التكوير : ٦
(٤) نوح : ٢٥ (٥) نوح : ٢٦ (٦) نوح : ٢٧
(٧) الزمر : ٦٧

وهو ما حدَّثت به أنفسها ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من العقول ﴿ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ من النفوس ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ ﴾ من الظلمات أهل العنت المكتنفين داخل الحجب الظلمانية ﴿ إِلَّا تَبَاراً ﴾ [1] أى هلاكاً ، فلا يعرفون نفوسهم ، لشهودهم وجه الحق دونهم . اهـ .

● زعمهم أنَّ كلامهم وحى من اللّه لهم أو من النبى مناماً :

وهذا كله من أقبح تبديل كلام اللّه وتحريفه ، ولقد ذَمَّ اللّه أهل الكتاب فى القرآن على ماهو دون هذا ، فإنه ذمهم على أنهم حرَّفوا الكَلِمَ عن مواضعه وأنهم : ﴿ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [2] ، ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] وهؤلاء قد حرفوا كلام اللّه عن مواضعه أقبح تحريف ، وكتبوا كتب النفاق والإلحاد بأيديهم وزعموا أنها من عند اللّه ، تارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ المَلَك الذى يوحى به إلى النبى ، فيكون فوق النبى بدرجة ، وتارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ اللّه ، فيكون أحدهم فى عمله بنفسه بمنزلة علم اللّه به لأنَّ الأخذ من معدن واحد ، وتارة يزعم أحدهم أنَّ النبى ﷺ أعطاه فى منامه هذا النفاق العظيم ، والإلحاد البليغ ، وأمره أن يخرج به إلى أمته وأنه أبرزه كما حدَّ له رسول اللّه ﷺ . من غير زيادة ولا نقصان ، وكان جماعة من الفضلاء - حتى بعض مَن خاطبنى فيه وانتصر له - يرى أنه كان يستحل الكذب ، ويختارون أن يُقال : كان يتعمد الكذب ، وأنَّ ذلك هو أهون من الكفر ، ثم صرَّحوا بأنَّ مقالته كفر . وكان ممن يشهد عليه بتعمد الكذب غير واحد من عقلاء الناس وفضلائهم من المشايخ والعلماء .

---

(١) نوح : ٢٨ (٢) البقرة : ٧٩ (٣) آل عمران : ٧٨

ومعلوم أن هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله ، وأنه من أحق الناس بقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ (١) وكثير من المتنبئين الكذابين كالمختار بن أبى عبيد (٢) وأمثاله لم يبلغ كذبهم وافتراؤهم إلى هذا الحد ، بل مسيلمة الكذاب لم يبلغ كذبه وافتراؤه إلى هذا الحد ، وهؤلاء كلهم كان يُعظِّم النبى ﷺ ويقر له بالرسالة ، لكن كان يدعى أنه رسول آخر ، ولا ينكر وجود الرب ولا ينكر القرآن فى الظاهر ، وهؤلاء جحدوا الرب وأشركوا به كل شئ وافتروا هذه الكتب التى قد يزعمون أنها أعظم من القرآن ، ويفضلون نفوسهم على النبى ﷺ من بعض الوجوه ، كما قد صرَّح به صاحب الفصوص عن خاتم الأولياء .

● زعمهم أنَّ القرآن كله شرك ، وذمهم للصراط المستقيم :

وحدثنى الثقة عن الفاجر التلمسانى أنه كان يقول : « القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد فى كلامنا » .

وأما الضلال والحيرة فما مدح الله ذلك قط ولا قال النبى ﷺ : « زدنى فيك تحيراً » ولم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا هو فى شئ من الحديث ، ولا فى شئ من كتب مَن يعلم الحديث ، بل ولا مَن يعرف الله ورسوله ، وكذلك احتجاجه بقوله : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ (٣) ، وإنما هذا حال المنافقين المرتدِّين ، فإنَّ الضلالَ والحيرة مما ذمَّه الله

---

(١) الأنعام : ٩٣

(٢) المختار بن أبى عبيد : المختار الثقفى ، من زعماء الثائرين على بنى أمية ، اشترك فى ثورة مسلم بن عقيل فسجنه عبد الله بن زياد ونفاه ، ثم ثار فى الكوفة طلباً بثأر الحسين ، انتصر قائده إبراهيم بن مالك الأشتر على الجيش الأموى فى معركة الخازر حيث قتل عبد الله بن زياد ، قتل فى محاولة يائسة للدفاع عن الكوفة وقد حاصره فيها مصعب بن الزبير ، توفى المختار الثقفى عام ٦٧ هـ بعد ادعاؤه بالنبوة ، ثم ادعاؤه بحلول روح الله فيه !! ، وانظر التعريف بمسيلمة : هامش ص ٦ من الجزء الرابع (البلتاجى) .

(٣) البقرة : ٢٠

فى القرآن ، قال الله تعالى فى القرآن : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ من دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِى الأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ ... الآية [1] .

وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين ، يريدون أن يدعوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وهى المخلوقات والأوثان والأصنام وكل ما عُبِدَ من دون الله ، ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم ، يردونهم عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، ويصيروا حائرين ضالين كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى : ائتنا ، وقال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ [2] أى يحارون ويترددون ، وقال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [3] فأمر بأن نسأله هداية الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين . وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل الضلال والحيرة ، مخالفة لكتب الله ورسله ، ولما فطر الله عليه عباده من العقول والألباب .

* * *

فصل

فى ذكر بعض ألفاظ ابن عربى التى تبيِّن ما ذكرنا من مذهبه ، فإنَّ أكثر الناس قد لا يفهمونه

قال فى فص يوسف - بعد أن جعل العالَم بالنسبة إلى الله كظل الشخص ، وتناقض فى التشبيه : « فكل ما تدركه فهو وجود الحق فى أعيان الممكنات ، فمن حيث هوية الحق هو وجوده ، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات ، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل ، كذلك لا يزول عنه

---

(١) الأنعام : ٧١ (٢) الأنعام : ١١٠ (٣) الفاتحة : ٦ - ٧